أعظم من العشق

حين يحترق الجمال يولد الحب

الكاتب
أ/ مايكل سلوانس

بيانات الرواية

اسم الرواية:

أعظم من العشق: حين يحترق الجمال يولد الحب

اسم الكاتب:

أ. مايكل سلوانس

تصميم الغلاف:

أ. ماجد يوسف

مراجعة لغوية:

د. أحمد سيد عمار

اثبات تاريخ النشر:

٢٧- ٧- ٢٠٢٥م

اسم الرواية: أعظم من العشق: حين يحترق الجمال يولد الحب

اسم الكاتب: مايكل يوسف سلوانس يوسف

الرقم القومي: ٢٨٨٠٩٠٨٠٣٠٠٢٧١

- **ملخص الأحداث:**

رنا شابة جميلة تبلغ من العمر ٢٥عامًا، تعمل في شركة استيراد وتصدير، مات والدها وهي صغيرة، ورفضت أمها الزواج بغيره رغم صغر سنها آنذاك، بل قررت العيش فقط من أجل تربيتها .....

أعجب بها نادر زميلها فى العمل، وهو شاب طموح يبلغ من العمر ٢٧ عامًا، حاول التقدم لها لكن أمها رفضته بسبب ضعف إمكانياته المحدودة، معللة رفضها بأن ابنتها جميلة تستحق أكثر من هذا بكثير ....

بدأت مواقف تحدث بينهما فى العمل، جعلتهما قريبين من بعضهما ورغم رفض أمها له، إلا أن هذا لم يمنعه من حبه المُخلص لها.

في يوم ما تعرضت رنا لحادثة شنيعة، حيث احترق جسدها بسبب ماس كهربائي حدث في منزلها، لم يعد يقبلها أحد، الجميع رفضها بسبب التشوهات التي حدثت لها، الشركة استغنت عنها، والأصدقاء ابتعدوا عنها بسبب شكلها الذي أصبح دميمًا.

تفاجأت رنا بأن الجميع تركوها، وأنهم كانوا يحبونها بسبب جمالها ومظهرها الجذاب الأنيق، لا بسبب شخصيتها وذاتها.

وفي وحدتها المؤلمة، أدركت رنا أن ما ظنّت أنه نهاية، كان بداية لفهم أعمق لذاتها؛ وأن الجمال الحقيقي لا يُحرق، ولا يُمحى.

جاءها نادر وصارحها مرة أخرى بمدى إعجابه وحبه الشديد لها، وأكد لها أنه يحبها لجوهرها وليس لمنظرها وجمالها، أنه أحب روحها الطاهرة التى لا تفنى، فتقدم لها وتزوجها، وأنجب منها طفلة جميلة مثلها.

مايكل يوسف سلوانس

" الفصل الأول"

وجهها الذي لا يُنسى

بعض الوجوه لا تُنسى لا لأنها أجمل، بل لأنها مرت على القلب قبل أن تمر على العين، فهناك وجوه لا نعرف لماذا تستوطن فى ذاكرتنا إلى الأبد، ربما لأن فيها شيئاً جديداً ستقوله الأيام .....

نادر شاب وحيد، بسيط في مظهره، عميق فى روحه، يبلغ من العمر ٢٧عامًا، يعمل محاسبًا فى شركة استيراد وتصدير منذ حوالى عامين، طموح جداً ليس فى مجال عمله فقط، وإنما فى أن يكون أسرة جديدة في هذا المجتمع، تلك الأسرة التى حُرم منها وهو مازال طفلاً صغيراً.

لم يكن نادر يحب الاجتماعات التى يعقدها مدير الشركة، لأنها ببساطة لم تأت بجديد، فمازالوا يعملون بأنظمة قديمة بالنسبة له، لكنه فى الفترة الأخيرة بدأ يحبها، ليس لأن المدير طور من نظام الشركة، وإنما لأن هناك فتاة جديدة أتت منذ يومين كانت تجلس فى الزاوية المقابلة له ....

إنها رنا شابة بارعة الجمال، طبعها هادئ، وأناقتها شديدة، يبدو أن عمرها حوالى ٢٥ عاماً.

لم تتحدث كثيراً، لكن حضورها وحده كان يكفى لتجعل كل من فى الغرفة ينظر إليها ولو مرة واحدة.

بعد عدة أيام كانت رنا واقفة فى اجتماع داخلى تعرض شغلها، صوتها كان واضحًا، وعيناها على الشاشة، وبدأت تتحدث عن مسار العمل ....

بعد عدة دقائق قليلة، قاطعها مدير الشركة قائلاً لها: حسناً هذا جيد، ولكنك لم تذكري لنا تفاصيل موضوعك المطروح، تلك التفاصيل التى يهرب منها معظم الناس، مع أن ذكرها سيميزك عنهم، ويبين لنا مدى فهمك واستيعابك أهمية الموضوع.

سكتت رنا لأن المدير قد أحرجها أمام جميع الزملاء، وظل نادر يتابعها وهى واقفة شاردة الذهن، لم تجد شيئاً تقوله، ثم أنهى المدير الاجتماع بعبارته: أتمنى يا جماعة أن الذي يتحدث فى المرة القادمة يكون ملماً بجميع نواحي الموضوع المطروح بشكل عام ومفصل أيضاً.

الجميع عادوا إلى مكاتبهم، بينما نادر ذهب لرنا وحدثها قائلاً: أنا أحييك على عرضك الشيق والرائع للموضوع، يكفى أنك كنت متماسكة جداً بشكل قوي أثناء عرضك أمام الجميع.

رفعت عينيها وقالت له بابتسامة امتنان: مرسيه لتشجيعك لى يا نادر

نادر: أنت فعلاً كنت رائعة، لا تجعلى أحدًا ما يهز ثقتك بنفسك، أبداً مهما حدث، حتى لو كان ذلك الشخص هو مديرك فى العمل.

رنا: هحاول صدقني.

نادر: لا، أنا أريد وعدًا منك بذلك.

ابتسمت رنا فى بساطة: سأعدك بهذا يا نادر

لم تكن العلاقة بينهما أكثر من زمالة عمل عادية، حتى بدأت التفاصيل الصغيرة تحفر طريقها بينهما، فبعد مرور حوالى شهر من انعقاد الاجتماع، جاءت التاسعة مساء، ومازالت رنا تعمل حتى هذه الساعة المتأخرة من اليوم، تعمل بجدية فى الشركة، والجميع أنهوا عملهم منذ الرابعة عصراً، ولكنها تبقت بمفردها تعمل على مشروعها المفترض مناقشته صباح الغد فى الاجتماع الشهرى ....

الهدوء والصمت يحلان على المكان، حتى صوت الطابعات قد سكت، بدأ التعب يحل على جسدها، لم تتناول وجبة الغذاء كعادتها مع والدتها، بل أرادت أن تثبت نفسها فى هذه الشركة، أمام هذا المدير الذي عنفها فى الاجتماع الماضي، كانت عيناها حمراوين، ومازالت تقاوم تعب جسدها المتهالك ....

سمعت طرقات على الباب بشكل متقطع، أنه بالتأكيد الساعي جاء إليها ليسألها: إذا كانت تريد فنجان قهوة آخر أو شيئاً ما ؟

ولكن توقعها خاب هذه المرة إنه نادر ....!

ما الذي جاء به إلى هنا ؟

لماذا بقي حتى هذه الساعة المتأخرة فى الشركة ؟

جالت هذه الأسئلة فى رأسها، ولم تجد لها إجابة تفسرها، قاطع نادر شرود ذهنها بابتسامة هادئة قائلاً: رأيت مكتبك مضيئاً من بعيد، فاستنتجت أنك ما زلت موجودة

رنا باستغراب: نعم، لأني مازلت أعمل على المشروع، ولكنى بكل أسف لم أنتهى منه حتى الآن، مازال أمامى الكثير من التعديلات، ولكن أخبرني ما الذي جعلك باقيًا لغاية الآن ؟ خصوصاً أنه لا يوجد شغل مطلوب منك ...!

نادر: فى حقيقة الأمر كنت أنوي الخروج مع أحد الأصدقاء، ولكنه للأسف قبل ميعاد الخروج بحوالى ساعة اعتذر لى، تضايقت جداً وفكرت فى نفسي بأني لو ذهبت إلى منزلى سأصاب بالضجر والملل، فقررت أن أقضي يومي هنا، وبالصدفة رأيتك موجودة، هل تسمحين لى أن أساعدك فى مشروعك ؟

رنا بخجل: ولكنى لا أريد أن أرهقك معى فى العمل

نادر: لا يوجد تعب أو أي إرهاق وأنت معي

جلس نادر بجورها وفتح اللاب توب، وبدأ يعرض عليها نماذج تصاميم مختلفة من مشاريع سابقة، مماثلة لمشروعها، فانبهرت بها جداً، وأرسلت له ملف المشروع الخاص بها، وبدآ العمل فيه سوياً.

بعد ساعة من الجهد المتواصل والعمل الدؤب، انتهيا أخيراً من المشروع .....

قالت رنا فى تردد: هل يمكنني أن أسألك سؤالاً ؟

نادر فى عفوية: بالطبع يمكنك ذلك بكل سرور يا رنا.

قالت رنا فى تعجب: لماذا تفعل معى كل هذا يا نادر ؟

نادر بابتسامة هادئة: لأن العمل كان كثيراً جداً عليك، ولا تستطيعين إنجازه بمفردك، لابد من وجود أحد كفء ذي خبرة يساعدك.

رنا تشعر بالعرفان والجميل: أشكرك كثيراً، ولا أجد كلامًا يعبر عن مدى امتناني لك.

نادر: لا تقولى شيئاً، إن حظك هو من جعل صديقي يتغيب، الله وحده يعلم يا رنا مدى معزتك عندي، يكفى أنك هونتِ هذا الوقت الصعب عليَّ

رنا: الله يخليك شكراً جداً لذوقك.

نادر: هل تسمحين لى بأن أوصلك إلى منزلك، لأن الوقت قد تأخرالآن ؟

رنا بتلعثم وخجل شديد: لكنى لا أريد أن أرهقك معى أكثر من اللازم.

نادر: أنا لا أريد أن أتركك تمشين بمفردك، ألا يوجد عندي نوع من النخوة أو حتى الرجولة، قالها وهو يبتسم فابتسمت هى أيضاً، ثم مضيا لبيتها وودعها ومن هناك انصرف إلى منزله.

ظلت رنا تفكر فى أمره، هل هو فعلاً ساعدها بدافع الزمالة ؟، أم بدافع الشهامة؟ ، أم بدافع الإعجاب؟!

وإذا كان الأمر كذلك، فلماذا لم يتخذ أية خطوة جدية حتى الآن ؟

- **قرار نادر بالزواج:**

فى لحظة ما، لم يخطط لها نادر، قرر أن يصارحها بمدى إعجابه الشديد بها، وأنه يريد التقرب منها.

نادر: أنا لا أعرفك منذ زمان يا رنا، ولكنى عندما رأيتك دخلت قلبي من أول نظرة.

رنا بابتسامة: جميعهم يقولون لى مثلك هكذا، ثم تضحك ...

نادر: أنا أحدثك جاداً يا رنا.

رنا: وأنا أيضاً لا أعلم لماذا أستريح لك بهذا الشكل الغريب، ولكن دعنا نعطى أنفسنا فرصة ومساحة أكبر للتعارف.

نادر: تمام أنا أحدثك فقط من حيث المبدأ، كنت أريد فقط أن أعلم مدى ترحيبك بالموضوع.

رنا: صدقني يا نادر، أنا طيلة الفترة السابقة هذه، لم أر منك سوى كل خير.

نادر: أشكرك على كلماتك الرقيقة هذه، ولكن هل يمكننا أن نرتبط سوياً فى يوم ما ؟
رنا: دع هذا يا نادر للأيام، لقد ذكرت لك أننا لا نعرف بعضنا جيداً، لذا لا تتعجل فى اختيارك هذا.

لم يقل نادر شيئاً بعدها، وإنما اكتفى بابتسامة خجل، عادت رنا إلى منزلها، وتناولت وجبة الغذاء مع أمها، ثم حكت لها عن زميلها نادر، الذي يريد الارتباط بها ...

الأم بانفعال شديد: فتاة جميلة مثلك تريد أن تتزوج بموظف بسيط، وعلى قدر حاله مثل هذا ....!

أين عقلك ؟ ما الذي يجبرك على الموافقة يا ابنتى ؟

رنا: ماما هذا كان مجرد حوار عابر، وأنا قلت له أن ينتظر، لأننا لا نعرف بعضنا جيداً.

الأم بعصبية: وهل تنتظرين لغاية ما تعرفينه وتتعلقين به، حتى تفكري فى الموضوع وتقرري ماذا ستفعلين ؟

رنا: أنا لم أقصد هذا بالطبع يا أمي، ولكنه أيضاً لم يخطئ وقصد خيراً

الأم بغضب: بلا خير بلا شر، إذا كلمك مرة أخرى في هذا الموضوع، أخبريه بأنك صرفت النظر عنه.

رنا: صراحة لم أعد أقدر على فهمك يا أمي، كيف تريدين أن تزوجيني وتفرحي بى؟ وكيف ترفضينه بكل شدة وحزم؟

الأم: حرام عليك يا ابنتى، لقد تقدم لك رجال أعمال، وأطباء ومهندسون، ورفضتى جميعهم بحجة أنك غير مستريحة لهم، أو أن هناك فرقاً كبيراً فى السن بينك وبينهم، وفى آخر المطاف توافقين بمنتهى البساطة على واحد لا يمتلك شيئاً من هذه الدنيا سوى راتبه القليل ....!

أخبريني يا رنا إذا تزوجتي به، كيف ستعيشين معه ؟

رنا: سنعيش براتبي على راتبه وسوف تسير الحياة، لا تعولي أنت هماً يا والدتى

الأم بتهكم: آه قولتيلى راتبك على راتبه، ولماذا تحكمين على نفسك بالعمل معه طيلة حياتك القادمة؟

اسمعى نصيحتى وأصغى لها جيداً يا ابنتى: إن الرجل الذي لا يستطيع أن يفتح بيتًا بمفرده، ويريد الاعتماد على زوجته، هو لا يلزمنا فى شيء، بل ينبغى الاستغناء عنه، وأتمنى أن لا تناقشينى مرة أخرى فى هذا الموضوع، سأخلد الآن للنوم أفضل من هذا الحوار السخيف.

شعرت رنا بضيق عظيم، وحزنت جداً بسبب كلام أمها لها، وحين علم نادر بالرفض لم يعاتبها، بل اكتفى فقط بعبارته هذه: أنا أتفهم شعور والدتك وأقدره جيداً، والدتك هى التى ضحت لأجلك ورفضت الجواز من بعد موت أبيك، لتتفرغ لتربيتك، إنها تحبك وترد تأمين مستقبلك، أنا أستوعب شعورها هذا، لكن سامحيني أنا لا أقدر أن أبعد عنك أبداً مهما حدث، إلا إذا طلبت أنت ذلك ...

ابتسمت رنا خجلاً، لأنها لم تجد ما تقوله له، فهى محرجة جداً لأبعد الحدود، ولا تعرف ماذا تفعل الآن؟ أو كيف تتصرف؟

- **موت صديقتها :**

مرت الأيام، وتغيبت رنا فجأة عن العمل، دون أي مقدمات، بعكس عادتها، فهى من النوع المنضبط جداً فى مواعيده وخصوصاً فى مجال عملها. قلق نادر كثيراً عليها، ولكنه تردد فى الاتصال بها، فى اليوم التالى جاءت إلى العمل، مرتدية ملابس سوداء، ووجهها حزين جداً، شاهدها نادر وهى متجهة نحو مكتبها...

فسألها قائلاً: هل أنت بخير؟

إنك لم تظهري أمس، وأنا قلقت جداً عليك، ولكنى مع هذا لم أرغب في الاتصال بك، خوفاً من المشاجرة مع والدتك .

رنا بحزن شديد: الحمد الله، أنا شبه جيدة ...

نادر بقلق: أخبريني ما الذي حدث لك بالضبط ؟

رنا بحزن شديد: إن صاحبة عمري قد توفيت أمس، فحضرت جنازتها، لهذا السبب تغيبت عن العمل.

نادر: هل صاحبتك هذه التى كنت تزورينها فى المستشفى ما بين حين وآخر ؟

رنا بوجع قلب: نعم هى، لم تتمكن حتى من وداعى، آخر مرة كنت عندها منذ يومين قالت لى: إنها لا تريد الموت وحيدة، ولكنها للأسف ماتت وحيدة دون أن أكون معها.

نادر: ربنا يرحمها ويغفر لها، هوني على نفسك يا رنا، أنت لم تقصري معها أبداً، ولكن هذا هو عمرها.

رنا بانفعال عاطفى: كم كنت أتمنى أن أكون معها وأشاركها لحظات حياتها الأخيرة.

نادر بهدوء: أهدئي يا رنا، إن الله الرحيم قد سمح بهذا لأنك حتماً لن تستطيعي تحمل رؤيتها وهى على سرير المرض تلفظ أنفاسها الأخيرة وتحتضر قدام عينيك.

رنا ببصيص من الأمل: تفتكر ....؟

نادر: على ما أظن أن الوضع سيبقي صعبًا بالنسبة لك، أصعب من وضعك الحالى بكثير.

سكت نادر قليلاً، ثم استطرد قائلاً: الموت دائما يخطف أحباءنا منا، ولكن الذي يجعلنا نقبل على الحياة مرة أخرى ليست لإنها مستمرة، أو أننا مازلنا عايشين، كلا الذي يجعلنا نقبل عليها هؤلاء الناس الذين مازالوا موجودين حولنا ويقفون بجوارنا فى وقت أزمتنا.

رنا باندهاش: أنت تكلمني عن الموت، وكأنك تعرفه جيداً، وجربته مع أحد عزيز عليك قبل ذلك.

نادر بتأثر: فعلاً أنا خضت هذه التجربة مع والدي رحمه الله ، لقد مات وأنا سني عشر سنوات، وأخذني خالى وتولى تربيتي، فأنا مدين له بالكثير.

رنا: هذا حسناً، ولكن أين والدتك ؟

نادر بتأثر: لقد توفيت منذ زمن بعيد، حيث أصيبت بحمى النفاس، ولم يتمكن الأطباء من معالجتها، فماتت بعد ولادتي بأيام قليلة.

رنا بتأثر وتعجب: غريبة جداً هذه الدنيا.

نادر: وما الغرابة فيها ؟

رنا: أنت جئت لتصبرني، ولكنك مليء بالأحزان والهموم أكثر مني.

نادر بتلقائية: حسناً ما رأيك بأن نضع حزنك على حزني، وهمك على همي لتستريحي؟

نظرت رنا بعيون حنونة وقالت له بهدوء: أتمنى فعلاً لو أستطيع فعل هذا.

نادر: أنت لست وحدك، أنا أسمعك وأشعر بك جيداً، وأقُدر الذي بداخلك، حتى ولو لم تتفوهي بكلمة واحدة.

ابتسمت رنا ابتسامة خافتة، وشعرت بأن وجعها بدأ يقل نسبياً، ربما هذا لأن نادر قد شاركها فيه، وبدأ يحمل حملها معها.

" الفصل الثاني "

" يوم الحادث "

" إن النار لا تختار من تحرق، فهى لا تسأل عن الملامح قبل أن تلتهمها..

فالنار شديدة العماء، لا تستطيع أن تفرق بين الجميل والقبيح، لا تستطيع أن تميز بين الطيب والشرير، فالكل متساوٍ عندها فى ذلك الرماد..

كان يوماً عادياً، لا شيء يوحى بغير المألوف، كانت رنا تستعد ليلتها لعرض مهم فى الشركة، دخلت منزلها وهى متعبة من كل شيء، من إجهاد اليوم، من كثرة التفكير، دخلت الحمام لتنعم باستحمام دافئ، أغمضت عينيها وهى جالسة فى البانيو، محاولة الاسترخاء لتنسى تعب هذا اليوم...

هوذا الهدوء داخل المكان، وصوت خرير المياه العذب يداعب أذنيها مثل أنغام موسيقى وألحان، جعلها تأخذ غفوة قليلة، فلم تعد تشعر بعدها بأي شيء...

وفجأة ....!

انكسرت الهدنة، واستيقظت على حر شديد، وعرق غزير يتصبب من كل جسدها، وهنا علمت بأن الأمور لا تسير على مايرام .....

تساءلت فى نفسها قائلة: ما هذا الجو العجيب؟ وما هذا الدخان الكثيف ؟

لعلى كنت أحلم بحلم غريب؟ أم بكابوس مرعب ؟

حاولت أن تتنفس الصعداء، ولكنها للأسف لم تلحق، فالنار أصبحت حولها فى كل مكان، بدأت تلتهم الأشياء...

حتى الرداء الذي كانت سترتديه...!

وكأن النار وحش كاسر يتأوه جوعاً، وجد فريسته بعد حين ...

حاولت الصراخ، ولكن دون جدوى، فالصرخة لم تخرج من فمها، بل خرجت من جلدها...!

حاولت النهوض، لكن الركبتين خذلتاها، كأن النار أقنعت جسدها بأنه لا فائدة من مقاومتها...

فى هذه اللحظة أدارت الأم مقبض الباب من الخارج، لكنها للأسف تأخرت عليها كثيراً، فهى كانت فى مشوار ما خارج المنزل ...

دخلت لتجدها تشتعل بين النيران، فحاولت إخمادها بكل شجاعة، ثم سحبتها منها، ظناً بأنها تنقذها، لا تعلم مقدار الألم الذي ستعاني منه بعد ذلك الحين.

كل شيء حدث فى ثوان معدودة...

فالماس الكهربائي حدث فجأة فى الحمام، نتيجة لخلل ما أصيب السخان الكهربائي، وهذا بالطبع قضاء وقدر...

جاءت الإسعاف مسرعة، وتم حملها فوراً إلى المستشفى.

- **فى المستشفي:**

دخلت رنا المستشفى فى حالة يرثى لها، أمها خارج غرفة العناية تسأل الطبيب عن سلامتها.

الأم بقلق: خير يا دكتور طمني ...

الدكتور: للأسف نسبة الحروق كبيرة، وهذا جعل جسمها يفقد كميات كبيرة من السوائل والأملاح، بسبب تبخر السوائل من الجلد التالف،الأمر الذى سبب لها هبوطًا حادًّا فى ضغط الدم، وهذا طبيعى فى حالات الحروق الواسعة.

الأم بحيرة: وما العمل يا دكتور ؟

الدكتور: العمل عمل ربنا، لقد بدأنا فوراً تعويض السوائل بمحاليل وريدية مركزة، وضبطنا الضغط بالأدوية، وحالياً نتابع وظائف الكلى والتنفس عن قرب.

الأم بقلق: هل يمكنني أن أراها؟

الدكتور: حالياً لا، لأنها فى غيبوبة ناتجة عن صدمة الحرق، لكن حالتها بتتحسن تدريجياً، ونركز الآن على استقرار المؤشرات الحيوية لها.

بعد يومين أفاقت رنا من غيبوبتها، استيقظت لتجد نفسها فى جسد غريب، جسد لا ينتمى لها، ، لقد أصبح غريباً عنها، وكأنها استعارت جسداً آخر ليس جسدها...

ولا تجرؤ أن تطالب بجسدها القديم، الحروق غيرت كل شيء، وجهها لم يعد هو، وجلدها فقد نعومته.

الدكتور: حمد الله على سلامتك يا رنا.

رنا باعياء شديد: أين أنا ؟!

الدكتور: أنت فى المستشفى.

رنا بصدمة: ما الذي حدث لجلدى؟، وكيف صار بهذه الصورة؟

الدكتور: هذا طبيعى جداً من أثر الحريق، لقد انكتب لك عمر جديد يا رنا.

رنا: أشعر أن جلدى مشدود يشبه البلاستيك.

الدكتور: وصفك دقيق ومعبر، وهذا نتيجة أن نسبة الحروق السطحية والعميقة وصلت إلى ٣٨% من مساحة سطح الجسم، وهذا يصنف كحروق من الدرجة الثانية العميقة والثالثة، وهى نسبة كبيرة لا يستهان بالطبع بها.

قالها الدكتور بنبرة قاسية لا تحمل أى نوع من العاطفة، وكأنها رقم فى فاتورة ما، وليس رقمًا فى حياة إنسانة، قالها وكأنه يعلن حكماً قضائياً عليها ...

رنا بذعر: أين أماكن الحريق ؟

الدكتور: الوجه من ناحية اليسار، الرقبة، الكتف، الذارع اليمني .

صمتت رنا لأن ما تبقى منها لم يكن صالحاً للنظر.

هم الطبيب بالانصراف، وأمر الممرضة بتغيير الضمادات يومياً لها باستخدام مواد معقمة ومراهم مضادة للبكتريا.

رفضت رنا كل شيء، الطعام، الكلام، انتابتها حالة من البكاء الشديد، لم تكن تتألم فقط من الحروق، بل تقريباً من كل شيء .....

دخلت عليها ممرضة أخري لتسألها عن سبب بكائها، فطلبت منها مرآة لتنظر وجهها، فنصحتها الممرضة بأنه من الأفضل لها أن لا ترى وجهها حاليًا، إلا بعد إجراء العمليات الجراحية .

صممت رنا على رأيها، فأعطتها الممرضة المرآة وهنا كانت الصدمة، فتحت عينيها ببطء كمن يفتح قبراً يعرف من بداخله، فرأت وجهها من اليسار قد تحول إلى جلد مسلوخ، مشدود ومشوه. يميل لونه إلى الحمرة، وبعضه يميل إلى السواد، أصبح جلدها مكرمشاً أكثر صلابة وأقل مرونة.

رنا بخوف: هذه ليست أنا، إنها أكيد أحد غيري ...

انتابتها حالة من الصراخ الهيستيري الشديد، والصدمة العصبية، ثم أغمى عليها ... مرت أيام قليلة، ثم جاء إليها الطبيب ليتحدث معها ويطمئن على سلامة صحتها.

الدكتور: لقد لاحظت أن حالتك استقرت جداً، وضغط الدم أصبح طبيعيًّا، الآن فقط أستطيع العمل الفعلى، سأنظف الأنسجة الميتة عن طريق إزالة الجلد الميت جراحياً، سنحاول ترميم الجلد المحترق باستخدام جلد سليم من جسمك، وسنبدأ معك جلسات علاج طبيعي مبكر للحفاظ على حركة المفاصل، ونتجنب تيبسها أو حدوث تليفات فى الأوتار.

رنا: كم المدة المستغرقة لهذا العلاج يا دكتور؟

الدكتور: يعنى بحسب حالتك أرى أن المراحل العلاجية ستأخذ من ٦ شهور لسنة، على حسب استجابة جسمك، وهذه تتضمن جراحات ترقيع، وجلسات علاج طبيعى، وجراحات تجميلية لاحقة.

رنا: أيعنى كلامك هذا بأننى سأظل معذبة داخل المستشفى، فى هذا الشاش وكل هذه الأربطة لمدة سنة ؟!

الدكتور: نعم. لأن حالتك ليست بسهلة، علاوة على ذلك جلسات ليزر وجراحات تجميلية متكررة.

رنا: هل أستطيع أن أرجع لصورتى الأولى أم لا ؟

الدكتور: لا أستطيع الجزم بذلك، ولكنى سأحاول أن أوصلك لأفضل شكل ممكن.

رنا: هل هناك أمل يا دكتور ؟

الدكتور: الأمل فى ربنا كبير، سأعمل عملية ترقيع جلد من الفخذ، وأعالج به آثار الحروق.

رنا بتردد: يعنى هقدر أرى نفسى مرة أخرى ؟

هز رأسه قائلاً: سترين نسخة قريبة جداً منك، يمكن تكون مختلفة عنك بعض الشيء، ولكن من المهم أن تستعدي لحبها.

لم تكن رنا قادرة على الحياة والتأقلم معها، بل كانت تموت ببطء كل يوم، بطريقة تجعلها لا تظهر هذا أمام الناس، فى كل مرة ترى انعكاس خيالها فى مرآة أو شاشة تليفاز، تهمس قائلة: هذه ليست أنا بكل تأكيد، ولكن يمكن أن تصبح أنا القادمة.

عاشت أسابيع من الألم، ثم دخلت فى عزلة اختيارية...

من يصدق ذلك الوجه الحسن الذى كان يلقى بالقبول والترحاب، أصبح يُنظرإليه بعين الشفقة والرحمة، أو بعين التجنب والرعب.

لم تعد رنا الجميلة، بل صارت القبيحة والدميمة والمشوهة، حتى أن الشركة اعتذرت لها عن استمرارها معهم فى العمل .

الجميع تركوها وحدها، حتى أصدقائها هربوا منها، مثلما تهرب الفئران من جحورها...

- **حين يُختبر الحب :**

لم تكن تعلم هل سيأتى لها نادر أم لا ؟

لم تسأله أن يفعل هذا، بل قررت أن تترك له الباب مفتوحاً ...

فى أحد الأيام، سمعت صوت الجرس، لم تكن مستعدة، ولم ترد أن تكون كذلك، كانت ترتدي ملابس مريحة واسعة، بلا ألوان ولا جمال، فقط ملابس عملية تتناسب مع حالتها الصحية، وكأنها تريد أن تخبره قائلة: لم أعد لوحة فنية كما كنت تراني سابقاً، فإذ كنت تبحث عن الجمال البصري، فعليك بالخروج مسرعاً من حياتى.

دخل نادر حاملاً باقة ورد، لم يقل شيئاً، وهى أيضاً لم تنظر له مباشرة، سادت لحظات كثيرة من الصمت، ثم ابتسم أخيراً وقال لها: حمدًا لله على سلامتك.

رنا: الله يسلمك

نادر بلهفة: أريد رؤيتك منذ أسبوعين، والأطباء كانوا مانعين عنك الزيارة بسبب حالتك الصحية، ربنا قادر يشفى عنك.

رنا متظاهرة ببرود: متشكرة، لماذا أتيت يا نادر؟

لقد أصبحت لا أنفع بشيء، أصبحت مثلما يقول المثل لا أنفع ببصلة، أنت شاب ممتاز تستطيع أن ترتبط بفتاة غيري، أما أنا فدعنى لشأنى، واتركنى وحدي من فضلك. أرجوك انساني .

نادر: ما هذا الكلام الغريب الذى تقولينه يا رنا؟

لقد جئت لأجلك أنت، وليس لأجل ما كنت عليها.

لم يرتب كلماته بل قال فى عفوية: لقد جئت ليس لأقول لك كلامًا كثيرًا، لكن لأقول لك : إنى مازلت أحبك، وأحتاجك أكثر من الأول.

تفاجأت رنا برده الغريب وغير المتوقع، والذى كان بمثابة اعتراف مباشر لها بحبه الشديد تجاهها، نظرت إليه لأول مرة بلا غطاء وجه أو باروكة شعر أو أى شيء، لتريه بشاعة منظرها المشوه، وتسأله قائلة: كيف ترانى الآن بدون ميكياج أو باروكة شعر أو أى شيء؟!

نادر بتلقائية: أراك موجوعة حزينة متألمة، ومع هذا فأنت مثلما أنت، حتى لو شكلك تغير، فالروح عمرها ما تتغير أبداً. هناك أشياء لا تراها العين، لكن القلب يستطيع فهمها.

نظرت إليه رنا وسألته بصوتها المكسور: هل مازلت ترانى مثل زمان يا نادر؟

اقترب نادر منها وجلس بجانبها، وأمسك يدها وأجابها: طول عمرى كنت أرى قلبك الطيب، أحببت فيك أشياء لم يشاهدها غيري،أحببت روحك النقية، ولا توجد نار تستطيع الوصول إلى الروح.

دمعت عيناها، فمسحها لها برفق ...

أدركت رنا شيئاً مؤلماً فى وحدتها، أن جميع من أحبوها قد أحبوها لأجل منظرها وجمالها الفاتن، وليس لأجل جوهرها وحقيقة شخصيتها...

الجميع تركوها إلا نادر أحبها من كل قلبه، أحبها إلى المنتهى، لأن جوهرها كان يشبه جوهره.

ابتسمت له فى خجل شديد وحياء وقالت: أرجوك فكر جيداً فى قرارك هذا.

فى نهاية الزيارة قال لها نادر: أرجوك لا تبكى، فلا جدوى من البكاء على اللبن المسكوب.

لم تعرف رنا هل ستأخذ بنصيحته ولن تبكى مرة أخرى، هل ستقدر أن تضحك بعد ذلك ؟

تأملت فى الورد الذى أعطاه لها، وسألت نفسها: هل نادر حقاً ما زال يحبنى؟

أم يحاول جعل نفسه بطلاً فى حكايتى المأساوية ؟

هل يريدنى مثلما كان يريدني سابقاً ؟

أم انتابته حالة من العطف والشفقة علىَ؟

هل يمكن للحب أن ينجو من الحريق؟!

هل يبقى العشق حين يحترق الجمال ويتشوه الجسد ؟

هل تبقى العاطفة عندما تختفى الملامح التى كانت تسحر القلوب ؟

ومزقت الأسئلة نفسها قائلة:

هل أنا مازلت أنثى ؟

هل أستحق أن يحبنى أحد، بينما أنا أهرب من شكلى ؟

كثيرة هي الأسئلة التي تدور فى رأسها، ولم تجد لها إجابة محددة، ولكن تولد لديها إحساس بأنها ليست وحيدة، فهناك من يهتم بها ويبالى بصحتها.

لم يكن نادر رومانسياً ولا يعرف أن يفتعلها، لا يعرف أن يقول الكلمات الكبيرة، بل كان هادئًا متواضع القلب، ولأول مرة بدأت تصدق أن نادر لم يتمسك بها لا من أجل وعده لها، ولا بدافع العطف والشفقة نحوها، بل بدافع أسمى وأعمق من الحب.

إن نادر رأى شيئاً طاهراً نقياً بداخلها، هذا الشيء الذى نسيته هى بسبب الحادث، قد دفعه للاستمرار معها بصبر، إن هذا الشيء أعظم من العشق فهو عاطفة مركبة تشمل مشاعر مختلطة من المحبة والرحمة والألفة والإحساس العميق بالانتماء لغيرك، وهذه العاطفة المركبة أعمق وأصفى كثيراً من الحب وحده.

فالحب لا يقاس بدرجة الجمال، بل بعمق الاحتواء، فشعورك أنك وجدت نفسك فى عينَيْ من يحبك فهذا شعور كافٍ لاستمرار الحياة معه.

- **الناس تنظر، لكنها لا ترى دائماً :**

لكن الخارج لا يشبه الداخل دائمًا... فبينما يجد القلب دفئه في الحب، يبقى للعالم وجهٌ بارد، لا يرحم الضعف، ولا يقدّر ما لا يُرى بالعين.

في الخارج، لا توجد مشاعر مركّبة، بل أحكام سريعة، ونظرات لا تسأل، لكنها تجرح.

الناس تنظر، لكنها لا ترى دائمًا.

يرون الآثار على الوجوه، لكنهم مع ذلك يعجزون عن رؤية ما ينزف في الأعماق.

كانت تعلم أن العالم لا يرحم، وأن الناس لا يتركون أحداً فى حاله أبداً مهما حدث، ذات يوم قررت أن تخرج من منزلها وكان نادر معها، وضعت ميكياجًا بسيطًا، وغطت نصف وجهها بشال حرير، وتركت النصف الآخر ليواجه العالم، كانت

نظرات الناس إليها مباشرة تنم عن استغراب، وعلامات استفهام لأسئلة كثيرة تريد الإجابة عليها لكل منهم .....

من هذه السيدة ؟ ، ولماذا ترتدي هذه الملابس بتلك الطريقة ؟

والذى كان يعرفها منهم كان يقول بينه وبين نفسه: زمان كنا نغار منها، أما الآن أصبحنا نشفق عليها، يا حرام .

فى ذات مرة، سأل طفل صغير أمه: لماذا وجه هذه السيدة غريب هكذا يا أمي ؟

سحبت الأم طفلها وابتسمت ابتسامة مصطنعة لرنا، ومضت فى طريقها مسرعة.

قالت رنا لنادر بحزن: انظر كيف أصبحت الآن؟!، حتى الأطفال يخافون منى ... إن الإنسان يمكن أن يتحمل كل شيء، إلا الألم الذى لا يمكن أن يراه أحد.

نادر: الناس يا رنا لا ترى إلا ما اعتادوا عليه، ولكننى أراك أقوى من الأول بكثير. الناس ليسوا دائماً قساة القلوب كما تعتقدين، لكنهم ليسوا دائماً مستعدين لتقبل شكل مختلف من الجمال.

أنا لم أحب جسدك، بل وقعت فى شيء أسمى بكثير، وقعت فى عشق روحك ....

- **متى سأحبنى :**

عندما يسيطر الحزن على إنسان، فإنه يحول حياته إلى سجن ضيق الجدران، لا تُرى قضبانه، لكنها تشعره بالاختناق. فالإنسان لا يتغير إلا حين يُسلب منه شيء عزيز، لا يتعلم إلا حين ينكسر، ويشعر أن عقله قد تم بناؤه بالتجربة والألم.

لم تذهب إلى طبيب نفسي، بل جاء هو إليها ....

جلال، صديق قديم للعائلة، زارها ذات مساء باعتباره ضيفاً، لكنه فى حقيقة الأمر كان يحمل ما هو أعمق من المجاملة، بالطبع لم يشعرها بذلك، وإلا ما فائدة الزيارة والعلاج ؟

دخل غرفتها بابتسامة دافئة وعيون تعرف جيداً ما يعنيه الصمت حين يكون اللغة الوحيدة، جلس بهدوء جوار سريرها، وقال بلطف، بصوت كأنه يربت على ورحها قبل أن يخاطب عقلها .....

الدكتور جلال: أنا لم أئت إليك بصفتى طبيب، ولكنى أتيت كشخص يحب أن يسمعك، أنا لا أسألك عن شيء ما، ولا أتعجلك فى الكلام، ولكن إذا كان هناك شيء بداخلك يريد أن يخرج، فأنا هنا موجود لمساعدتك.

مرت خمس دقائق من الصمت، سادتها لحظات التردد والأنفاس المكسورة، ثم قالت بصوت يشبه الحطام ....

رنا: إن رنا أحترقت، أنا لست كما كنت بالأمس، أنا نسخة باهتة متهالكة من نفسي التى لم أعد أتعرف عليها.

الدكتور: ولماذا لا تقدرين التعرف عليك ؟

رنا: لأن كل شيء قد تغير، أنا كنت أحب شكلى جداً، أما الآن أصبحت أخاف النظر فى المرآة، كل الذى فهمته جيداً عن نفسي، ذهب فى لحظة ما يوم الحادث الأليم.

نظر إليها الدكتور باحتواء وقال بهدوء: أن تقبلى كونك مختلفة، أن تعانقى وحدتك بدل من الهروب منها، هذا أول خطوة فى طريق التحرر، ليس من الناس فقط، بل ومن أفكارك أيضاً، لأن تحررك هذا يبدأ من داخلك. ثم هز رأسه بتفهم وسألها سؤالا زلزل صمتها: هل أنت مازلت رنا ؟ أم أن رنا ذهبت مع الحادث ؟

لم تجب بكلمة واحدة، لكنها كتبت رسالة إلى نفسها القديمة:

أنا آسفة، لأنى كنت أراك من الخارج فقط، ونسيت أن أراك وأسمعك من الداخل، كنت أتجاهلك كثيراً، أما الآن فأنا أبصرك جيداً، وأعرفك أعمق من الأول بكثير ...

مع تكرار الجلسات، بدأت رنا تتغير، تعلمت أن الصورة لا تخلق إنسانًا، وأن المرآة لا تعكس الحقيقة، بل تذكرنا بما نحتاج أن نراه.

تكلمت عن الحريق، عن الجرح، عن الألم، لكن الأهم إنها تحدثت عن الفراغ، عن الجزء الذى تركته النسخة القديمة منها.

فى جلسة أخرى نظرت للدكتور بعينين ممتلئتين دموعًا وقالت: أنا لم أبكي بسبب تشوهى، ولكنى أبكى لأنه لا يوجد أحد يرى ما بداخلى، كل الأشياء أصبحت مثل بعضها، كل شيء تساوى أمام نظرى، لم أعد أهتم بشيء، لأنه لم يعد يفرق معى أى شيء، هل يوجد حال أسوء مما أنا فيه ؟!

سألها الدكتور بلين وحكمة: ماذا لو رأيتى رنا التى قبل الحادثة، هل ستقولين لها شيئًا؟

فكرت رنا طويلاً، ثم أجابت بابتسامة خافتة: سأقول لها حافظى على قلبك أكثر مما تحافظين على وجهك، لأن القلب مازال ينبض ويعيش معك ....

طلب منها أن تكتب رسالة لنفسها الجديدة ...!

كتبت رنا: لم أعد أخفيك يا نفسي، لم أعد أستحى منك ...

لأنك أنت هى أنا، بل ويمكن أصدق منها بكثير، أنت أصدق مما كنت عليها زمان !

ولأول مرة لم يطلب منها الدكتور أن تكون بخير، بل طلب أن تكون تعلمت كيف تحتوي نفسها، كيف تتحدث إليها بلطف ؟!

كيف تعترف بالضعف دون أن تشعر بالهزيمة ؟!

صارت رنا تنظر للمرآة ليس بدافع تقييم ملامحها الجديدة، لكن لأجل أسئلتها هذه : من منا الأجمل ؟ هل رنا قبل الحادث؟ أم رنا بعد الحادث التى تعلمت حب نفسها؟!.

وفى آخر جلسة لها مع الدكتور، نظر إليها وابتسم : بالحقيقة أنك اليوم وُلدتِ من جديد، أننا لا نستطيع أن نرغم الناس على حبنا، لا نستطيع إجبارهم على حب شكلنا، لكننا نستطيع نحن أن نحب شكلنا، نقدر أن نحب نفسنا وروحنا.

- **ليلة الزفاف:**

تقدم لها نادر مرة أخرى لكن بشكل رسمي، هذه المرة لم تجد الأم سبباً واضحاً لرفضه، فوافقت بدون مقاومة أو حتى تفكير ...

وافقت لأن الحريق لم يحرق جسد رنا فقط، بل أحرق أيضاً أوهامها وآمالها التى كانت تبنيها وتخطط لها.

تعلمت الأم درساً قاسياً هو أن الحب الذى يبقى بعد الألم، لا يُشترى ولا يُرفض أيضاً. قبل يوم الزفاف بثلاثة أيام بكت رنا لأول مرة بدون دموع، بكاؤها لم يخرج من عينيها بل خرج من قلبها، جميع من حولها كانوا سعداء إلا هى لم تكن كذلك...!

كان الخوف يتملكها أكثر من يوم الحادث ...

ليس الخوف من الارتباط بنادر، لكن الخوف من نفسها هى ...!

الخوف من اللحظة التى ستضطر من الوقوف أمامه بفستان الفرح، ويراها كاملة بجروحها وملمس جلدها الجديد، بصوتها الحزين الباكى، بضحكتها غير المكتملة.

جلست مع أمها فى الشرفة وقالت لها بهدوء: لو كان رفضنى بعد هذا الحادث، لكنت أكثر راحة مما أنا عليه الآن يا أمي .

ردت الأم بحنان: يمكن، ولكن الشيء الأكيد أنك كنت ستعيشين وحيدة بدون ظهر أو سند.

جاء يوم الزفاف، كان يومًا جميلًا هادئًا، يشبه أعياد الميلاد وليس حفل زواج بالمفهوم التقليدي، كانت ترتدي فستانًا أبيض بسيطًا، لم يكن الحفل ضخمًا، فلا يوجد زفة صاخبة فى القاعة، فقط موسيقى هادئة، نظرت نظرة أخيرة لنفسها فى المرآة ليس تأملا فى مظهرها، بل لمراجعة نفسها، ثم قالت: أنا أستحق هذا الحب، حتى وإن كنت غير مكتملة، فحبيبي هو من يكملنى....

دخلت القاعة والمعازيم يصفقون، لم يكونوا كثيرين كما هو متوقع فى الأفراح بل قليلين جداً، الأقارب فقط، لأن بعض الوجوه لم تعد ترحب بها، لكن نادر لم يتغير تجاهها بل أصبح حبه أعظم عمقاً وأكثر ثباتاً.....

تأمل نادر وجهها فلاحظ أنه مضيء، إنه أضاء بنور قناعتها بما جرى لها، همس فى أذنها قائلاً: كنتُ أصلّي إلى الله كل يوم أن تُوافقي على الارتباط بي.

ابتسمت له ابتسامة راضية، فأمسك بيدها، فشعرت بأنها تسلم نفسها لحب عمرها، الذى صدق وصمد حتى المنتهى ...

لم يكن بينهما مجرد عشق، بل شيء أعظم منه بكثير، حب يعرف الوجه المحروق ولا يخافه، يرى الألم ولا يهرب منه..!

حب يمسك بيدها ويقول: أعشقك رغم جراحك لأنها أنت ....

انتهى الفرح لكن الحكاية لم تنته بعد، بل بدأت من جديد ...

من أول صباح يشرق حتى آخر مساء، ستظل تواجه المرآة، تواجه نظرات الناس، تواجه نفسها، لكن هذه المرة لم تكن وحدها بل يوجد معها من حبها ويتمسك بها.

ربما الحب لا يشفى الحروق، ولا العشق يداوى الجروح، لكن الحب والعشق يشفيان آلام الروح.

أغمضت عينيها فى نهاية اليوم، ولأول مرة لم تحلم بوجهها القديم، بل بنورها الجديد، المولود من الرماد، والقائم على عهد، ليس فيه شرط ولا قيد، إلا أن يكون القلب صادقاً.

وهكذا حين خمدت نيران الجسد، اشتعل نور الروح، لا تروى الحكاية بكلمات بل لتعاش...

- **خاتمة:**

كل شيء قابل للفناء، كل شيء قابل للذوبان، كل شيء قابل للاحتراق، إلا الأرواح التى وجدت من يفهمها.

فالوفاء لا يمكن أن تطفئه النيران، وأن الحب لا يقاس بدرجة الجمال بل بعمق الاحتواء ....

الحب لا يبحث عن صورة، بل عن جوهر حب لا يقول أنت جميلة، بل يقول: أنت أنت وهذا يكفيني ...!

إن الحب ليس معجزة، إنه اختيار واع، كل يوم وسط الألم وسط التغيير وسط الصمت يظل هو، هناك حب لا يكتب فى كتب، بل يُحفر فى القلب، وإن كانت النار قد غيرت شكلها، فالحب قد غير أيضاً مصيرها ...

الحب ليس لحظة رومانسية، بل هو قرار فى عز التعب، ليس هو مجرد قبلة بل صبر على الجراح، حين تغيرت ملامحها، ازداد حضورها، وحين خافت من العالم، كان هو عالمها ....

يقول نادر: الحب يا صديقي ليس لحظة انبهار، بل هو إرادة وقرار وأسلوب حياة معاش.

أن تختار نفس الشخص كل يوم، حتى بعد أن يتغير شكله، صوته، جلده، أن تراه جميلاً مدى الأيام، فتحبه إلى المنتهى، منتهى الأعوام ...

هناك قوة خفية تجذبنى إلى هذا الجمال المكسور، مثلما تجذبنى القصص التى لم تكتمل بعد، وكأنه فى الألم سحر لا يدركه سوي القلوب التى عاشت فيه، فبعض القلوب لا ترى الجمال إلا حين تكسرها الحياة أولاً.

مر عام على زواجهما وزرقا بطفلة جميلة سمياها أمل، وصارت رنا محاضرة فى مؤسسة تدعم النساء ضحايا الحروق، كانت تحكى قصتها للجميع، وقالت عبارتها الشهيرة: أنا لم أخُلق للجمال فقط ... أنا خُلقت لأحُب كما أنا.

تعلمت رنا أعظم درس لها فى تاريخ حياتها، وهو أنه لا يوجد فى هذه الحياة شيء مضمون أبداً، لا يوجد قانون ينص على أن الإنسان يجب أن يكون سعيداً، أو أن السعادة مرتبطة بحد ذاتها بالجمال.....

إن الحياة مليئة بالكثير من المعاناة، فهى الامتحان الذى يختبر فيه صبر الإنسان، من لا يفهم هذا الدرس سيصاب بخيبة أمل عندما يواجه الصعاب...

إن العاقل لا يبحث عن السعادة فى هذه الحياة، بل يبحث عن طريق يجعله كيف يتكيف مع قسوتها ؟!

" تمت بحمد الله"